

الإسلام والغرب

افتراءات لها تاريخ

دراسة حول الإساءات الغربية الأخيرة للإسلام

أ. د. محمد عمارة







الإسلام والغرب

افتراءات لها تاريخ

دراسة حول الإساءات الغربية الأخيرة للإسلام

أ. د. محمد عمارة



• الكتـــــــاب:

الإسلام والغرب .. افتراءات لها تاريخ

• تـأليـــف:

أ.د. محمد عمارة

• السلسلة:

رســائل الدعـــاة

• قياس الصفحة:

١٧ × ٢٤

• رقم الإيداع:

٧٦٥٠ / ٢٠٠٦

الترقيم الدولي:

977-367-120-8

مركز الإعلام العربي

ص.ب ٩٢ الهرم - الجيزة - مصر

• هاتف: ٣٨٣٣٣٦١ / ٠٠٢٠٢

• فاكس: ٣٨٥١٧٦١ / ٠٠٢٠٢

• الموقع على شبكة الإنترنت:

Home Page www.Resalah4u.net

• البريد الإلكتروني:

E-Mail media@ie-eg.com



الإخراج الفني

إبراهيم حسن

الغلاف

إبراهيم نور

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ

٢٠٠٦م



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

تأتى هذه الدراسة للكاتب والمفكر الإسلامى الكبير د. محمد عمارة لتقدم لنا قراءة جديدة لمسلسل العداء الغربى للإسلام، وهو يوضح فى هذه الرسالة أن هذا العداء ليس وليد اليوم، ولكنه عداء قديم متجذر فى النفسية والعقلية الغربية.

وتؤكد هذه الدراسة على أن الغرب ليس موقفا واحدا، وأن عداءه للإسلام ليس شاملا، وأن المشكلة هى مع مشروع الهيمنة الغربى، ومؤسساته - الدينية والسياسية والإعلامية، وأن هناك من علماء الغرب ومفكريه من أنصفوا الإسلام إنصافا متميزا وممتازا.

***

ومركز الإعلام العربى يسعده أن يقدم هذه الدراسة الجادة والمهمة فى سلسلة «رسائل الدعاة» لتكون إسهاما فعليا وحقيقيا فى توعية العقلية الإسلامية، ولتضيف جديدا إلى ساحة الفكر الإسلامى والعمل الدعوى.

مركز الإعلام العربى

هذه الدراسة.. لماذا؟

• إن إنعاش الذاكرة بحقائق الافتراءات الغربية على الإسلام، ووقائع الإهانات الغربية لمقدسات المسلمين، لا نريد به تأجيج نيران الكراهية للإنسان الغربى، ولا إقامة القطيعة مع الحضارة الغربية.. وإنما نريد به تشخيص «الداء»، ليكون ذلك هو المدخل الطبيعى والصحى للبحث عن «الدواء».

• إن التعارف، ومن ثم التعايش، الذى يريده الإسلام بين جميع الأمم والشعوب - على اختلاف ألوانها وأجناسها ودياناتها وحضاراتها - لن يصبح فى المتناول إلا إذا كشفنا الغطاء عن «القنابل الملغومة» - فى الثقافات - التى تحول دون بلوغ هذه الأهداف.

• لقد قال أسلافنا العلماء: «إن كُفر المقولة لا يعنى كفر قائلها».. فقد يكون جاهلاً، أو لديه تأويل - حتى لو كان فاسداً.

ومن ثم: فإن وجود الكثير من الأكاذيب والافتراءات ضد الإسلام فى المخزون الثقافى والتراثى الغربى، لا يعنى إدانة الإنسان الغربى.. الذى قد يكون ضحية لهذا التراث من

الأكاذيب والافتراءات.

- إن الهدف من هذه الدراسة هو «المكاشفة»، بتسليط الأضواء على الوقائع التى تسمم العلاقات بين الغرب والإسلام، والتى تجعل الحوار بينهما أشبه ما يكون «بحوار الطرشان»!.
- إن هذه الدراسة ليست دعوة «لكراهية الغرب»، وإنما هى جهد مخلص لمعالجة جذور «الكراهية» التى تنميها وترعاها مؤسسات الهيمنة الغربية ضد الإسلام.
- وليس مثل المكاشفة بالحقائق سبيلاً للسير نحو التعارف وبناء الثقة بين الأمم والثقافات والحضارات.

د. محمد عمارة

القاهرة فى: المحرم ١٤٢٧هـ

الموافق: فبراير ٢٠٠٦م

تمهيد

مشكلتنا، فى مواجهة الهجوم على الإسلام، والإساءة إلى رسولنا (ﷺ)، وخاصة تلك التى تتكرر من دوائر سياسية ودينية وإعلامية فى الغرب.. أننا نتعامل مع هذه التهجمات والإساءات تعاملاً غير صحى، يتسم - فى أغلب الأحيان - بالتجزيئية والموسمية والانفعالات، التى سرعان ما تتبخر، مع بقاء المواقف المعادية على حالها، بل ربما هى فى تصاعد وازدياد.

وحلاً لهذه المشكلة: فإن العقل المسلم، ومؤسسات العلم والإعلام الإسلامية، عليها أن تعى عددًا من الحقائق، التى تمثل ثوابت حاكمة - أو يجب أن تكون حاكمة - لمواقفنا إزاء هذه التهجمات.

وأول هذه الحقائق: هى إدراك الجذور العميقة للعداء للإسلام عند الآخرين.. فمنذ ظهور الإسلام بدأ العداء له، والتهجم عليه، والافتراء على رسوله (ﷺ).

ولقد سجل القرآن الكريم، وسجلت السيرة النبوية هذه الحقيقة، باعتبارها سنة من سنن التدافع بين الحق والباطل، ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا

من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ﴾ (البقرة: ١٠٩)، ﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾ (البقرة: ٢١٧)، ﴿ إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون ﴾ (الأنفال: ٣٦)، ﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾ (الصف: ٨).

ولقد اعترف كثير من الغربيين بقدم العداء الغربي للإسلام، حتى قال القائد والكاتب الإنجليزى «جلوب باشا» (١٨٩٧ - ١٩٨٦م): «إن تاريخ مشكلة الشرق الأوسط - أى مشكلة الغرب مع الشرق الإسلامى - إنما يعود إلى القرن السابع للميلاد»!! أى إلى ظهور الإسلام!!

فنحن - إذن - أمام موقف ثابت وقديم.. ولسنا أمام مقال هنا أو رسم «كاريكاتورى» هناك. ومن ثم فنحن فى حاجة إلى استراتيجية ثابتة ودائمة لمواجهة هذا العداء وهذه التهجمات.

والحقيقة الثانية: هى أن هذا الغرب - الذى تأتى منه أغلب هذه التهجمات ليس كتلة واحدة ولا موقفاً واحداً إزاء الإسلام.. صحيح أن الأكاذيب والافتراءات تملأ الكتب المدرسية الغربية - حتى لقد رُصدت هذه الأكاذيب فى مشروع بحثى أنجز فى ألمانيا، فبلغت ثمانية مجلدات!!

وصحيح أن هذه الأكاذيب تنتشر فى الثقافة الشعبية الغربية - التى تصور المسلمين عبدة للثالوث!! وتصور رسول الإسلام (ﷺ) كاردينالاً كاثوليكيًا، رشح نفسه فى انتخابات البابوية، فلما رسب أحدث انشقاقًا هو الأكبر والأخطر فى تاريخ النصرانية!! إلى آخر مخزون ثقافة الكراهية السوداء فى المجتمعات الغربية - إن كان له آخر - لكن.. ومع هذا.. فإن هناك عددًا كبيرًا من علماء الغرب ومفكريه قد قادتهم عقولهم إلى احترام الإسلام، والثناء على حضارته، والإنصاف لتاريخ الأمة الإسلامية.

ولذلك؛ فعلينا أن نواجه الافتراءات الغربية بمشروع فكرى تقدم فيه للغرب - وعلى نطاق واسع - شهادات هؤلاء العلماء والمفكرين الغربيين، المنصفة للإسلام، وذلك من باب (وشهد شاهدٌ من أهلها)، فالأمر المؤكد أن هذه الشهادات ستكون أجدى وأفعل فى كشف الزيف الذى تمثله حملات العداء والتشويه للإسلام.

والحقيقة الثالثة: هى أن أفكار الجمود والتقليد والغضب والعنف، التى لا تخلو منها مجتمعاتنا الإسلامية، يسلط أعداؤنا عليها كل الأضواء، بل ويبالغون فى تصويرها، حتى تغطى على تيار الوسطية والاستنارة والاعتدال فى الفكر الإسلامى - وهو التيار الأوسع والأعرض والأعمق -

وذلك لتشويه كامل الصورة الإسلامية، ولإخافة الشعوب الغربية من الإسلام، فتنخرط وراء حكوماتها الاستعمارية فى الحرب على عالم الإسلام.. وفى مواجهة ذلك، علينا أن نقدم للإنسان الغربى مشروعًا للتعريف بالإسلام، نترجم فيه الفكر الوسطى الإسلامى، وأن تقدم هذا المشروع المؤسسات الإسلامية المعروفة بالوسطية والتاريخ العريق - مثل الأزهر الشريف -، وذلك لتقول لهؤلاء الآخرين: هذا هو الإسلام، لمن أراد أن يعرف حقيقة الإسلام.

والحقيقة الرابعة: هى أن هناك علاقة جدلية بين «الدفاع» و«الهجوم»، وإذا كان «الدفاع» غير «الاعتذار»، فإن علينا، ونحن ندافع عن الإسلام إزاء التهجمات التى توجه إليه، والإساءات التى توجه إلى رسولنا (ﷺ)، وخاصة من دوائر الهيمنة - السياسية والإعلامية - الغربية.. علينا - ونحن نعرف الآخرين بحقائق سماحة الإسلام وعدالته - أن نتخذ موقف الهجوم على الفكر العنصرى والدموى الذى تزخر به المواريث الدينية والحضارية لدى هؤلاء الغربيين الذين يهاجمون الإسلام، والذين يبصرون «القشة» فى عيون غيرهم، ويتعامون عن «الأخشاب والأشواك» التى تمتلئ بها عيونهم! وعلى الذين ينتقدون «الخطاب الدينى الإسلامى» أن ينظروا - أولاً - إلى خطاباتهم الدينية والثقافية الطافحة بالعنصرية والدموية والاستعلاء والتمركز حول الذات وإنكار

الاعتراف بالآخرين.

كـذلك، يجب علينا - ونحن ندافع عن الإســلام، ونرد سهام خصومه - أن نستخدم سلاح الوعى بحقائق التاريخ.. والوعى بحقائق الواقع الذى نعيش فيه. فنذكّر الذين يتهمون المسلمين بالعدوانية والإرهاب: أن الشرق قد تعرض لعدوان الغرب واستعماره وقهره ونهبه منذ ما قبل الإسلام، وبعد ظهور الإسلام، فالقضية أقدم حتى من الإسلام!

فالإغريق والرومان والبيزنطيون قد احتلوا الشرق وقهروه - حـضـاريًا ودينيًا وثقـافـيًـا ولغـويًا - عـشـرة قـرون.. من «الإسكندر الأكبر» (٣٥٦ - ٣٢٤ ق.م) - فى القرن الرابع قبل الميلاد - وحتى «هرقل» (٦١٠ - ٦٤١م) - فى القرن السابع للميلاد.

ولما حررت الفتوحات الإسلامية أوطان الشرق وضمائر شعوبه من هذا القهر الاستعمارى، عاد الغـرب ليخـتطف الشرق من التحرير الإسلامى، فشن عليه حملاته الصليبية التى دامت قـرنين من الزمـان (١٠٩٦ - ١٢٩١م)، ولم يتـورع الغرب - إبان هذه الحروب الصليبية، التى رفع فيها أعلام النصرانية - من أن يتحالف مع التتر الوثنيين ضد الإسلام.

ولما حررت دول الفروسية الإسلامية الشرق من جيوش الصليبيين وأزالت قلاعهم وكياناتهم الاستيطانية.. عاد هذا

الغرب الاستعمارى منذ إسقاط غرناطة (١٤٩٢م) إلى القيام بغزوته الحديثة. فالتف حول العالم الإسلامى، ثم أخذ - بغزوة بونابرت (١٧٩٨م) - فى ضرب قلب العالم الإسلامى، ولا زلنا نعالج آثار هذه الغزوة، التى مضى على بدايتها خمسة قرون، والتى لم يتورع فيها الغرب الاستعمارى الحديث عن التحالف مع أعدائه التاريخيين - اليهود والصهاينة - ضد الإسلام والمسلمين، كما سبق وصنع الغرب الصليبى بتحالفه مع الوثنية التترية فى العصر الوسيط!

ثم.. على الغرب الاستعمارى أن ينظر - قبل اتهامه الإسلام وأمته بالعدوانية والإرهاب - إلى خريطة الواقع الذى نعيش فيه.

فشركات الغرب العابرة للقارات والجنسيات، تنهب ثروات العالم الإسلامى وموادة الخام - بأرخص الأسعار -، فى الوقت الذى يصدرون فيه إلينا سلع الاستهلاك الترفى والترف الاستهلاكى - بأغلى الأسعار - ويعملون على حرماننا من التنمية والتصنيع وامتلاك أدوات القوة الصناعية.

القواعد العسكرية الغربية تغطى أغلب بلاد العالم الإسلامى، حتى لقد تحولت بلاد عربية وإسلامية إلى قواعد عسكرية!! ولا شىء غير القواعد العسكرية، وذلك لحراسة

النهب الاقتصادى، وللعدوان على سيادة الدول الإسلامية!

والأساطيل الحربية الغربية غدت تحتل بحارنا ومحيطاتنا، بل وتحولت مناطق من عالم الإسلام إلى مدافن للنفايات القاتلة، بعد أن تحولت شعوبنا وزراعاتنا إلى حقول تجارب للفاسد والضار من الأسمدة والمبيدات والأدوية!

والغرب، الذى يحرم شعوب الإسلام - دون غيرها - من حق تقرير المصير، هو الذى يعطى هذا الحق للأقليات التى هى جزء أصيل من الشعوب الإسلامية، حتى غدا هذا الحق - لأول مرة فى تاريخ الشرعية الدولية - أداة تفتيت للدول ذات السيادة، بدلاً من أن يكون أداة لتحرير الشعوب من الاستعمار! - كما حدث ويحدث فى «تيمور الشرقية» وفى جنوب السودان.

يحدث ذلك فى واقعنا الإسلامى، بينما لا تجد فى الغرب جنديًا مسلمًا، ولا شركة إسلامية، ولا حتى سفينة إسلامية لصيد الأسماك!! ومع ذلك يتحدثون عن عدوانيتنا وإرهابنا، غافلين ومتغافلين عن حقائق التاريخ وحقائق الواقع الذى نعيش فيه، فهل نعى نحن دور هذا الوعى بالتاريخ والواقع فى هذا الصراع؟!

* * *

فصل جديد.. وليس الأخير!

فى ٣٠ من سبتمبر ٢٠٠٥م نشرت إحدى الصحف الدانماركية - «بولاندس بوستن» - رسومًا «كاريكاتورية» مسيئة إلى رسول الله (ﷺ)، وكانت هذه الرسوم ثمرة «لمسابقة» أجرتها الصحيفة بين رسامى «الكاريكاتور» ليتخيلوا ويرسموا رسول الإسلام، فى الصورة التى رسمتها فى مخيلتهم ثقافتهم الغربية وتراثهم عن رسول الإسلام، وكانت الحصيلة اثنى عشر رسمًا، منها ذلك الرسم الذى يصور رسول الإسلام (ﷺ) معتمًا بعمامة فى شكل قنبلة!! ولقد صنعوا ذلك فى حملة صحفية منظمة لمواجهة ما أسموه «الخوف من نقد الإسلام»!!

نعم.. فرسول السلام العادل، والتوحيد الخالص، والرفق بالطبيعة والجماد، فضلاً عن الإنسان والحيوان والنبات، قد صورته الثقافة السائدة فى التراث الغربى «إرهابيًا»، نشر دينه بالسيف والدم.. وها هى تعاليمه الآن - الإسلام - قد غدت «الإرهاب» الذى يشيعه فى العالم أتباعه «الإرهابيون»!!

وعندما استفزت هذه الرسوم سفراء الدول العربية والإسلامية فى «كوبنهاجن» - عاصمة الدانمارك - ودعتهم السفيرة المصرية للاجتماع والاحتجاج، وطلبوا مقابلة رئيس

الوزراء الدانماركى، رفض مقابلتهم، قائلاً: إن ما نشرته الصحيفة لم يخرج عن حدود القانون، وإن الحكومة الدانماركية لا تتدخل فيما هو من حرية التعبير.

ومع تسرب أنباء هذه الرسوم إلى أجهزة الإعلام فى البلاد الإسلامية، غضبت الجماهير لرسولها الكريم، ولمقدسات دينها الحنيف، فعقدت المؤتمرات، وصدرت البيانات، واندلعت المظاهرات، وسقط الشهداء.. وبدأ جمهور الناس فى مقاطعة البضائع الدانماركية، وانخرطت قطاعات من النخبة فى الكتابة والخطابة دفاعًا عن العقائد والمقدسات.

لكن رد الفعل الغربى، فى الإعلام وفى مؤسسات الاتحاد الأوروبى والحكومات الغربية، كان - فى مجمله - سلبيًا، بل ومعاديًا، فصحف كثيرة فى فرنسا وإيطاليا وألمانيا وهولندا وبلجيكا والبرتغال وأسبانيا واستراليا وسويسرا وأمريكا والنرويج وروسيا - فضلاً عن إسرائيل - قد أعادت نشر الرسوم المسيئة إلى رسول الإسلام، ومفوضية الاتحاد الأوروبى تضامنت مع الدانمارك، بحجة أن حرية التعبير يجب أن لا تتقيد بحرمات مقدسات الإسلام، بل وهددت «هذه المفوضية» الدول الإسلامية التى تقاطع البضائع الدانماركية بتطبيق العقوبات عليها؛ لأن مقاطعة الدانمارك

هى مقاطعة لكل دول الاتحاد الأوروبى الخمس والعشرين!!
ووصل الأمر إلى حد أن أحد الوزراء - فى إيطاليا - دعا إلى شن حرب صليبية ضد الإسلام والمسلمين، وإلى طبع هذه الرسوم - المسيئة إلى رسول الإسلام - على القمصان ليرتديها ويتزين بها الأوروبيون!!!

وهكذا انشغل العالم بوقائع أحدث فصول الإهانات الغربية لمقدسات الإسلام!

• • •

وفى الساحة الإسلامية.. ظن كثيرون أن هذا الحادث الغريب هو حادث مفاجئ.. وشاذ، وليست له سابقة ولا نظير فى التاريخ، بينما ظن آخرون أن هذا الموقف الغربى، الذى يستبيح إهانة العقائد والمقدسات الدينية الإسلامية، بدعوى حرية التعبير - التى يراها «قيمة مطلقة» تعلو على غيرها من القيم، حتى أنها غير قابلة للنقاش! - ظنوا أن ذلك الموقف الغربى هو موقف حديث، أثمرته العلمانية الغربية التى سادت فى السياسة والدولة والمجتمعات الغربية منذ القرن الثامن عشر، والتى نزعت القداسة عن كل مقدسات الأديان، والتى تطورت - فيما بعد الحداثة - إلى نزع القداسة حتى عن منظومة القيم والأخلاق!

لكن الذى تريد أن تقدمه هذه الدراسة، من خلال

«الوقائع.. والوثائق.. والشهادات الغربية ذاتها»، هو البرهنة على أن عداء الغرب للإسلام، وتعمده إهانة مقدساته – وفى المقدمة منها رسوله العظيم.. وقرآنه الكريم – هو عداء وافتراء له تاريخ! وأن تاريخ الغرب فى اقتراف هذه الجرائم سابق حتى على علمنة الفكر الغربى والمجتمعات الغربية، بل إن هذا الموقف الغربى من الإسلام إنما يعود إلى ظهور الإسلام!!

لقد قالها الجنرال الإنجليزى «جلوب باشا» – اللفتنانت جنرال جون باجوت (١٨٩٧ - ١٩٨٦م) – والذى سبق وعمل قائداً للجيش الأردنى حتى عام ١٩٥٦م. قالها – فى لحظة صدق – فجاءت معبرة أصدق التعبير عن تاريخ الغرب فى العداء للإسلام. لقد قال: «إن تاريخ مشكلة الشرق الأوسط (أى مشكلة الغرب مع الشرق الإسلامى)، إنما يعود إلى القرن السابع للميلاد»!! – أى إلى ظهور الإسلام.

• • •

ليس غربًا واحدًا

وإذا كنا قد حرصنا دائمًا - وفى كل ما كتبناه عن مواقف الغرب من الإسلام وحضارته وأمته - على ضرورة التمييز فى الغرب بين:

١ - **الإنسان الغربى:** الذى لا مشكلة له مع الإسلام وأمته وحضارته، والذى يتفهم ديننا وقضايانا عندما تعرض عليه بمنطق وموضوعية.. والذى لنا من بين علمائه ومفكريه العشرات، بل والمئات الذين تحدثوا عن الإسلام وحضارته بموضوعية وإنصاف، حتى أننا نتعلم من كتاباتهم - نحن المسلمين - الكثير.

٢ - **والعلم الغربى:** الذى هو مشترك إنسانى عام، استفادت فيه النهضة الأوروبية الحديثة من تراث الإسلام العلمى والحضارى، كما سبق واستفاد المسلمون فيه من تراث الحضارات القديمة - الإغريقية، والهندية، والفارسية - التى أحيا مواريثها الإسلام.

٣ - **ومؤسسات الهيمنة الغربية:** تلك التى تتركز مشكلة الإسلام والمسلمين معها، لا لأنها غربية، وإنما لأنها «إمبريالية»، سبق لها واستعمرت الشرق ونهبته اقتصاديًا،

وقهرته دينيًا وسياسيًا وثقافيًا لمدة عشرة قرون - من «الإسكندر الأكبر» (٣٥٦ - ٣٢٣ ق.م) فى القرن الرابع قبل الميلاد - وحتى «هرقل» (٦١٠ - ٦٤١م) - فى القرن السابع للميلاد!

فلما ظهر الإسلام، وحررت فتوحاته أوطان الشرق من هذا الاستعمار والقهر الغربى - الإغريقى.. الرومانى.. البيزنطى، عاد هذا الغرب - تحت أعلام الصليب، و«بأيديولوجية» الحرب الدينية المقدسة - ليحارب الشرق، ويشن عليه العديد من الحملات العسكرية، التى شاركت فيها دول الغرب وإماراته وفرسان إقطاعه، بقيادة الكنيسة الكاثوليكية، ولقد استمرت هذه الحملات الصليبية، والكيانات الاستيطانية والإحلالية التى أقامتها فى قلب العالم الإسلامى قرنين من الزمان (٤٨٩ - ٦٩٠هـ - ١٠٩٦ - ١٢٩١م).

وعندما نهضت دول الفروسية الإسلامية - الدولة «الزنكية - النورية» (٥٢١ - ٦٤٨هـ - ١١٢٧ - ١٢٥٠م)، والدولة «الأيوبية» (٥٦٧ - ٦٤٨هـ - ١١٧١ - ١٢٥٠م)، والدولة «المملوكية» (٦٤٨ - ٧٨٤هـ - ١٢٥٠ - ١٣٨٢م)، عندما نهضت دول الفروسية الإسلامية هذه فحررت عالم الإسلام من آثار هذه الحملات الصليبية الغربية، بدأ الغرب

دورة جديدة من دورات صراعه التاريخى ضد الإسلام والمسلمين، وذلك لإعادة اختطاف الشرق من التحرير الإسلامى، فكانت الحروب التى أسقطت «غرناطة»، واقتلعت الإسلام من الأندلس (٨٩٧هـ - ١٤٩٢م) لتبدأ غزوة الخمسمائة عام! «الغزوة الغربية الحديثة للشرق الإسلامى، التى لا تزال قائمة وقائعها حتى هذه اللحظات!».

لقد بدأت هذه الغزوة الغربية الحديثة بالالتفاف حول العالم الإسلامى - حول أفريقيا (٩٠٢هـ - ١٤٩٧م) - واحتلال الكثير من البلاد الإسلامية فى شرقى آسيا - الهند، والفلبين، وأندونيسيا - ثم استدارت لضرب قلب العالم الإسلامى - العالم العربى - ابتداءً من حملة «بونابرت» (١٧٦٩ - ١٨٢١م) على مصر والشام (١٢١٣هـ - ١٧٩٨م).

ولكى يدرك الذين لا يدركون وعى الغرب بهذا التاريخ، بل واحتفاله بذكرياته.. يكفى أن نعلم أن الغرب قد احتفل بمرور خمسمائة عام على إسقاطه «غرناطة»، واقتلاعه الإسلام من غربى أوروبا - الأندلس - احتفل بذلك عام ١٩٩٢م، وذلك بإقامة «دورة أولمبية» فى «برشلونة» عام ١٩٩٢م - أى فى مكان الحدث!! - وذهب العالم - بمن فيه المسلمون! - ليلعبوا على أنغام الذكريات الغربية بالانتصار

على الإسلام، وببدء الغزوة الغربية الحديثة لعالم الإسلام - من ذات المكان أيضًا - البرتغال -! وليشاهدوا - مع الألعاب - الأفلام والمسرحيات التى تتحدث عن هذه الأحداث، فى مسلسل الصراع الغربى ضد الإسلام.

بل وفى نفس العام ١٩٩٢م شن الغرب حربه - بقيادة الصرب - ضد البوسة والهرسك، وذلك لاقتلاع الإسلام من وسط أوروبا، فى الذكرى الخمسمائة لاقتلاعه من غرب أوروبا!!

• • •

إذن.. فمع هذه المؤسسات الاستعمارية الغربية، ومع هذا المشروع «الإمبريالى» الغربي، الطامع فى اغتصاب الشرق، ونهب ثرواته، وتغريب ثقافته، وقهر حضارته، ومسخ هويته، تتركز مشكلتنا فى العلاقة بالغرب.. وليس مع الإنسان الغربى أو العلم الغربى.

إن عداء مؤسسات الهيمنة الغربية للإسلام وأمته وحضارته وعالمه قد بلغ حد التحالف حتى مع «الوثنية التترية» إبان الحروب الصليبية - فى العصور الوسطى - ضد الإسلام! والتحالف - فى العصر الحديث - مع «الصهيونية - اليهودية» اليوم، ضد الإسلام، بل وتسعى «الصليبية - الصهيونية» اليوم، منتهزة فرصة التشرذم فى

نظم الحكم الإسلامية، والضعف الذى تسببه تبعية هذه النظم «للمركز - الإمبريالى» الغربى، تسعى للتحالف مع «الهندوسية» ضد الإسلام.

لقد كتبنا كثيرًا، ونبهنا مرارًا على ضرورة التمييز فى الغرب بين هذه القطاعات الثلاثة:

الإنسان الغربى.

والعلم الغربى.

ومشروع الهيمنة الغربية ومؤسساته «الإمبريالية».. وذلك حتى لا نضع الجميع فى «سلة واحدة»، غافلين عن المنهج القرآنى فى التعامل مع الآخرين - كل الآخرين - والذى تلخصه الكلمة القرآنية الجامعة: ﴿ليسوا سواء﴾ (آل عمران: ١١٣).

وإذا كنا قد نشرنا العديد من الكتب - الكبيرة، والمتوسطة، والصغيرة - عن تاريخ الغرب معنا - نحن المسلمين - على امتداد قرون هذا الصراع الذى فرضوه علينا، فإن هدف هذه الدراسة الموجزة هو:

١ - إيراد الوقائع والشهادات الغربية، والحقائق التاريخية، التى تحكى تاريخ الافتراءات الغربية على الإسلام، والعداء والعدوان على مقدساته.

٢ - ولتكون هذه الوقائع والشهادات والحقائق التاريخية فى صدر

جداول أعمال أية حوارات بين المسلمين وبين الغربيين، وذلك لتكون هذه الحوارات «علاجًا» للمرض.. وليست وقوفًا عند «العرض» فضلا عن أن تكون - كحالها اليوم - «علاقات عامة» و«مجاملات»..

إن التناول الشجاع لحقائق العلاقات بين الغرب والشرق، هو الكفيل بفتح الأبواب - ولو ببطء وتدرج - لتصحيح مسارات هذه العلاقات.. وهو وحده الكفيل بتصحيح المفاهيم الخاطئة، وإعادة بناء الصور لدى الفرقاء المختلفين.

إن علينا أن نجاهد ضد تسطيح البعض لهذه المشكلة، والنظر إليها كحدث طارئ، أو وحيد، أو شاذ، أو معزول، فنحن أمام عداء غربي للإسلام، له تاريخ.. وهو عداء لمقدساتنا تاريخه سابق على العلمانية الغربية التى نزعت القداسة عن كل مفردات العالم الذى نعيش فيه، وهو عداء نابع من كراهية الغرب الاستعمارى للإسلام؛ لأنه العقيدة الجهادية التى تدافع عن الأرض والعرض والثروات، التى هى الهدف الأعظم للغرب الإمبريالى فى صراعه التاريخى مع عالم الإسلام، فهدف الغرب: نهب ثروات الشرق الإسلامى - ضمن مشروعه لنهب العالم - وهو يكره الإسلام باعتباره «الأيديولوجية» الجهادية المحركة للأمة الإسلامية ضد هذه «الإمبريالية» الغربية، ولذلك، فهو يعمل إما على تنصير المسلمين، وطى صفحة الإسلام من الوجود - وتلك مقاصد

مؤسساته الدينية - أو على تحويل الإسلام إلى صيغة نصرانية، تقبل بالمبدأ النصرانى: «دع ما لقيصر لقيصر.. وما لله لله». وذلك حتى يدع المسلمون أوطانهم وثرواتهم «للقيصر - الغربى»، ويكتفون من الإسلام بما هو لله!! وتلك هى مقاصد المؤسسات السياسية الغربية، التى عبر عنها المفكر الاستراتيجى الأمريكى «فوكوياما»، عندما قال: «إننا **نريد حربا داخل الإسلام، تجعله إسلامًا ليبراليا، حداثيا، علمانيا، يقبل المبدأ المسيحى: دع ما لقيصر لقيصر، وما لله لله**»[1].

إنهم لا يريدون الإسلام الشامل، الذى تصنع «عباداته» روح «الجهاد» فى سبيل العزة والحرية والتحرير والاستقلال.. الإسلام الذى يجعل عزة أهله من عزة الله وعزة رسوله (عليه الصلاة والسلام) ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (المنافقون: ٨).. الإسلام الذى يجعل الرهبانية هى الجهاد.. والذى يجعل رهبان الليل هم أنفسهم فرسان النهار ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ (المزمل: ٦).

• • •

وإذا كان المنهاج الأفعل فى التناول لهذا التاريخ الغربى فى العداء للإسلام، والافتراء على مقدساته، والإهانة

(١) مجلة (نيوزويك) - الأمريكية - العدد السنوى، ديسمبر ٢٠٠١م، فبراير ٢٠٠٢م.

لرموزه، هو تقديم الشهادات الغربية التى اعترفت بهذا العداء - من خلال الدراسات المنصفة التى كتبها علماء ومفكرون غربيون كثيرون؛ لأن هذه الشهادات والوقائع هى الأفعل فى جعل الغرب - أثناء الحوار أو السجال - يدرك حجم القذى الذى تمتلئ به عيونه الناظرة إلى الإسلام، كما أنها هى الأفعل فى إيقاظ العقل المسلم، كى يرى حجم المشكلة التى تواجهه وهو يتحاور ويتعامل مع مؤسسات الهيمنة الغربية، أو مع الإنسان الغربى حول الموقف من العقائد والمقدسات.

● ● ●

عداء.. وإهانات لها تاريخ

١

فى كتاب مترجم عن الألمانية، كتبه عالمان سويسريان - هما: «هوبرت هيركومر» و«جيرنوت روتر» - يقولان عن الصورة الغربية، الشائعة والمستكنة فى التراث الغربى، عن رسول الإسلام (ﷺ):

«لقد اعتبر المسيحيون الأوروبيون محمداً رجلا عاش حياة داعرة، وتجاوز خبثه كل حدود الدناءة والانحطاط.. ولم يتورع خيالهم عن الادعاء بأن رسول الإسلام كان فى الأصل كاردينالا كاثوليكيا، تجاهلته الكنيسة فى انتخابات البابا، فقام بتأسيس طائفة ملحدة فى الشرق انتقاما من الكنيسة. واعتبرت أوروبا المسيحية، فى القرون الوسطى، محمداً المرتد الأكبر عن المسيحية، الذى يحمل وزر انقسام نصف البشرية عن الديانة المسيحية...»[1].

وبشهادة المستشرق الفرنسى الشهير «مكسيم رودنسون» (١٩١٥ - ٢٠٠٤م):

---

(١) هوبرت هيركومر، جيرنوت روتر (صورة الإسلام فى التراث الغربى) ص ٣٣، ٣٤، ترجمة: ثابت عيد، وتقديم: د. محمد عمارة، طبعة دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٩٩م، سلسلة «فى التنوير الإسلامى».

«فلقد حدث أن الكتاب اللاتين، الذين أخذوا بين عامى ١١٠٠م و١١٤٠م على عاتقهم إشباع الحاجة لدى الإنسان العامى، أخذوا يوجهون اهتمامهم نحو حياة محمد، دون أى اعتبار للدقة، فأطلقوا العنان، لجهل الخيال المنتصر».. فكان محمد (فى عرفهم) ساحرا، هدم الكنيسة فى أفريقيا والشرق عن طريق السحر والخديعة، وضمن نجاحه بأن أباح الاتصالات الجنسية، وكان محمد (فى عرف تلك الملاحم) هو صنمهم الرئيسى، وكان معظم الشعراء الجوالة يعتبرونه كبير الهة السراسنة (البدو)، وكانت تماثيله (حسب أقوالهم) تصنع من مواد غنية، وذات أحجام هائلة!!

لقد اعتبر الإسلام، فى العصور الوسطى نوعا من الانشقاق الدينى، أو هرطقة ضمن المسيحية، وهكذا رآه «دانتى» (١٢٩٥ - ١٣٢١م)....»[1].

تلك هى صورة الإسلام ورسوله فى الثقافة الشعبية الأوروبية، التى تبلورت وشاعت منذ العصور الأوروبية الوسطية.. قبل العلمانية.. وقبل أن يعرف الغرب شيئا اسمه «حرية التعبير»!.

● ● ●

---

(١) د. محمد عمارة: (الإسلام فى عيون غربية: بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء). ص ٦٤، طبعة دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٥م.

٢

وإذا كانت الملاحم الشعبية إنما تمثل أكبر المكونات لثقافة جمهور أية أمة من الأمم أو حضارة من الحضارات، فإن «ملحمة رولاند» الشعبية - حوالى عام ١٠٠٠م - تصور المسلمين، الذين يبلغ التوحيد الدينى للألوهية عندهم أرقى درجات التنزيه والتجريد «فكل ما خطر على بالك، فالله ليس كذلك»، تصورهم هذه الملحمة الشعرية الشعبية الأوروبية - وثنيين، يعبدون ثالوث:

١ - أبولين **Apollin**.

٢ - وتيرفاجانت **Tervagant**.

٣ - ومحمد **Mahamed**.[١]

● ● ●

٣

وإذا كان الدين واللاهوت والفلسفة الدينية قد لعبت دورًا بارزًا فى تكوين العقل الغربى والثقافة الأوروبية فى عصورها الوسطى، فإن «القديس - الفيلسوف» «توما الأكوينى» (١٢٢٥ - ١٢٧٤م)، وهو أكبر فلاسفة الكاثوليكية عبر تاريخها - قد

---

(١) (صورة الإسلام فى التراث الغربى)، ص ٢٥، ٢٦.

صور لقومه رسول الإسلام (ﷺ) فقال:

«لقد أغوى محمد الشعوب من خلال وعوده لها بالمتع الشهوانية، وحرف جميع الأدلة الواردة فى التوراة والأناجيل من خلال الأساطير والخرافات التى كان يتلوها على أصحابه، ولم يؤمن برسالته إلا المتوحشون من البشر، الذين كانوا يعيشون فى البادية»[1].

أما رأس البروتستانتية «مارتن لوثر» (١٤٨٣ - ١٥٤٦م)؛ فلقد قال عن رسول الإسلام - الذى جعل الحياء شعبة من شعب الإيمان، والعفة ثابتًا من ثوابت القيم الإسلامية.. قال «مارتن لوثر» عن هذا الرسول الكريم:

«إن محمدا هو خادم العاهرات، وصائد المومسات»!!![2].



٤

وإذا كانت (الكوميديا الإلهية) التى كتبها الشاعر الإيطالى الأشهر «دانتى» (١٢٩٥ - ١٣٢١م) قد غدت معلمًا من معالم ثقافة أوروبا منذ عصر النهضة وحتى هذه اللحظات، ونصًا يدرسه الطلاب فى المدارس والجامعات:

(١) المرجع السابق، ص ٢٢، ٢٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٢١.

فإن هذه (الكوميديا الإلهية) قد وضعت رسول الإسلام (ﷺ) وعلى بن أبى طالب (كرَّم الله وجهه):

«فى الحفرة التاسعة، فى ثامن حلقة من حلقات جهنم؛ لأنهما - بنظر «دانتى» - من أهل الشجار والنفاق، الذين تقطعت أجسادهم فى سعير الكوميديا الإلهية»!![1].

• • •

وإذا كانت هذه الإشارات - وهى مجرد إشارات - التى تفصح عن عناوين الصورة الشعبية والدينية لرسول الإسلام (ﷺ) فى ثقافة أوروبا - العصور الوسطى.. وبدايات عصر النهضة -، فإن هذه الصورة لم تتبدل ولم تتعدل فى فكر «التنوير الغربى».

ففيلسوف التنوير الغربى «فولتير» (١٦٩٤ - ١٧٧٨م) - الذى قدمه الغرب.. وقدمه المثقفون العلمانيون فى بلادنا.. باعتباره نموذج الشجاعة الفكرية.. المستعد للموت فى سبيل حرية الآخرين - هو الذى كتب عن رسول الإسلام (ﷺ) مسرحيته: (التعصب أو محمد الرسول)، فجعل فيها من رسول الله نموذجًا للتعصب، رغم اعتراف الرسول بكل

(١) المرجع السابق. ص ٢٤.

الآخرين، حتى الذين ينكرون نبوته ويكفرون بدينه، وتقنينه: «أن لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين، وعلى المسلمين ما عليهم، حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم»، كما أخفى «فولتير» - فى هذه المسرحية - جبنه أمام الكنيسة، وخوفه من مهاجمة المسيحية أو نقدها، بالهجوم على الإسلام ورسول الإسلام!

ولم يكشف حقيقة هذا الذى جعلوه فيلسوفًا للحرية والتنوير، سوى رائد اليقظة الإسلامية الحديثة جمال الدين الأفغانى (١٢٥٤ - ١٣١٤هـ - ١٨٣٨ - ١٨٩٧م).. الذى كتب عن «فولتير» و«روسو» (١٧١٢ - ١٧٧٨م) فقال:

«لقد زعما حماية العدل ومغالبة الظلم والقيام بإنارة الأفكار وهداية العقول. فنبشا قبر «أبيقور الكلبى» (٣٤١ - ٢٧٠ ق.م)، وأحييا ما بلى من عظام الدهريين، ونبذا كل تكليف دينى، وغرسا بذور الإباحية والاشتراك، وزعما أن الآداب الإلهية جعليات خرافية، كما زعما أن الأديان مخترعات أحدثها نقص العقل الإنسانى، وجهر كلاهما بإنكار الألوهية، ورفع كل عقيرته بالتشنيع على الأنبياء (برأهم الله مما قالا)، وكثيرًا ما ألف «فولتير» من الكتب فى تخطئة الأنبياء والسخرية بهم والقدح فى أنسابهم وعيب ما جاءوا به»[1].

---

(١) جمال الدين الأفغانى (الأعمال الكاملة) ص ١٦١، دراسة وتحقيق د. محمد عمارة، طبعة القاهرة ١٩٦٨م.

٦

وإذا كان القرآن الكريم قد علَّم المسلمين أنه قد جاء مصدقًا لما بين يديه من الكتب السماوية التى نزلت على سائر الأنبياء والمرسلين، وتحدث عن صحف إبراهيم، وزبور داود (عليهما السلام)، وقال عن توراة موسى (عليه السلام): إن ﴿فيها هدى ونور﴾ (المائدة: ٤٤)، وعن إنجيل عيسى (عليه السلام): إن ﴿فيه هدى ونور﴾ (المائدة: ٤٦).

فلقد قال «مارتن لوثر» (١٤٨٣ - ١٥٤٦م) - رأس البروتستانتية الغربية وزعيمها - عن القرآن الكريم:

«اى كتاب بغيض وفظيع وملعون هذا القرآن.. ملىء بالأكاذيب والخرافات والفظائع.. وإن إزعاج محمد، والإضرار بالمسلمين، يجب أن تكون هي المقاصد من وراء ترجمة القران، وتعرف المسيحيين عليه»!![1].

وقال الشاعر الألمانى الشهير «جوته» (١٧٤٩ - ١٨٣٢م) عن هذا القرآن الكريم:

«إنه الكتاب الذى يكرر نفسه تكرارات لا تنتهى، فيثير اشمئزازنا دائما، كلما شرعنا فى قراءته»!![2].

---

(١) [صورة الإسلام فى التراث الغربى] ص ٢١.

(٢) من نصوص تحت الطبع، ترجمها الباحث ثابت عيد - مترجم [صورة الإسلام فى التراث الغربى].

وحتى الرجل الذى أنصف نبى الإسلام، وجعله أعظم العظماء «توماس كارليل» (١٧٩٥ - ١٨٨١م) رأيناه يقول عن القرآن الكريم:

«إن محمداً شيء.. والقرآن شيء آخر.. فالقرآن هو خليط طويل وممل ومشوش.. جاف.. وغليظ.. باختصار، هو غباء لا يحتمل»!!![1].

فنحن - إذن - بإزاء عداء لقدس أقداس الإسلام - رسول الإسلام (ﷺ) وقرآنه الكريم - وهو عداء له تاريخ قديم، وثابت، وطويل.

• • •

٧

وإذا كنا نكتب اليوم بمناسبة إهانة الغرب - غرب القرن الحادى والعشرين - لمقدسات الإسلام، فإن الوقائع والممارسات الغربية التى تهين وتمتهن هذه المقدسات هى وقائع وممارسات لها تاريخ قديم، بل وسابق حتى على ظهور الإسلام.

فالغرب الذى يهين اليوم مقدسات الإسلام - على الرغم من احترام الإسلام وتقديسه لكل مقدسات جميع الأديان -

---

(١) المرجع السابق.

هذا الغرب الاستعمارى - فى طوره الإغريقى، الرومانى، البيزنطى - هو الذى امتهن مقدسات النصرانية الشرقية، واتهم عقائدها، واغتصب كنائسها وأديرتها - ولقرون عديدة - حتى جاءت الفتوحات الإسلامية: فحررت هذه العقائد والمقدسات مع تحريرها لأوطان أصحابها.. وعلى هذه الحقيقة شهد الأسقف «ميخائيل السريانى» فقال:

«لقد نهب الرومان الأشرار كنائسنا وأديرتنا بقسوة بالغة، واتهمونا دون شفقة، ولهذا جاء إلينا من الجنوب أبناء إسماعيل لينقذونا من أيدى الرومان. وتركنا العرب نمارس عقائدنا بحرية، وعشنا فى سلام»[1].

وقبل «ميخائيل السريانى» شهد الأسقف «يوحنا النقيوسى» - الذى كان شاهد عيان على الفتح الإسلامى لمصر - بأن هذا الفتح الذى حرر مصر من الاستعمار البيزنطى، إنما كان بمثابة العدل الإلهى الذى انتقم الله به من ظلم الرومان.. فقال: **«إن الله، الذى يصون الحق، لم يهمل العالم، وحكم على الظالمين، ولم يرحمهم لتجرئهم عليه، وردهم إلى أيدى الإسماعيليين (العرب المسلمين)، ثم نهض المسلمون وحازوا كل مصر، وكان عمرو بن العاص يقوى كل يوم فى عمله، ويأخذ الضرائب التى حددها، ولم يأخذ شيئا من مال الكنائس،**

---

(١) د. صبرى أبو الخير سليم (تاريخ مصر فى العصر البيزنطى) ص ٦٢، طبعة القاهرة. دار عين ٢٠٠١م.

ولم يرتكب شيئا ما سلبا أو نهبا، وحافظ على الكنائس طوال الأيام، ودخل الأنبا بنيامين - بطرك المصريين - مدينة الإسكندرية، بعد هربه من الرومان ثلاثة عشر عاما، وسار إلى كنائسه، وزارها كلها. وكان كل الناس يقولون: هذا النفى، وانتصار الإسلام كان بسبب ظلم هرقل الملك، وبسبب اضطهاد الأرثوذكسيين.. وهلك الروم لهذا السبب، وساد المسلمون مصر. وخطب الأنبا بنيامين (٣٩هـ - ٦٥٩م) فى دير مقاريوس، فقال: لقد وجدت فى الإسكندرية زمن النجاة والطمأنينة اللتين كنت أنشدهما، بعد الاضطهادات والمظالم التى قام بتمثيلها الظلمة المارقون»[1].

• • •

٨

وبعد هذا الإنقاذ والتحرير «والنجاة والطمأنينة والسلام»، الذى حققه الإسلام لكل عقائد أصحاب الديانات ولجميع المقدسات.. جاءت الحملات الصليبية الغربية (٤٨٩ - ٦٩٠هـ - ١٠٩٦ - ١٢٩١م) لتحول المسجد الأقصى إلى اصطبل خيل وكنيسة لاتينية، منتهكة حرمة هذا الحرم القدسى الشريف، الذى هو - عند المسلمين - أولى القبلتين،

---

(١) الأسقف يوحنا النقيوسى (تاريخ مصر ليوحنا النقيوسى: رؤية قبطية للفتح الإسلامى)، ص ٢٠١، ٢٠٢، ٢٢٠، ترجمة ودراسة: د. عمر صابر عبد الجليل، طبعة القاهرة - دار عين ٢٠٠٠م.

وثالث الحرمين، وأحد المساجد الثلاثة التى تتفرد بأن تشد إليها الرحال.. جاء الصليبيون فحولوه إلى اصطبل خيل وكنيس لاتينى لما يقرب من تسعين عامًا (٤٩٢ - ٥٨٣هـ/ ١٠٩٩ - ١١٨٧م) حتى حرره صلاح الدين الأيوبى (٥٣٢ - ٥٨٩هـ/ ١١٣٧ - ١١٩٣م).

• • •

٩

وإبان الحملة الفرنسية، التى قادها «بونابرت» (١٧٦٩ - ١٨٢١م) على مصر (١٢١٣هـ - ١٧٩٨م) دنست جيوشه - جيوش الثورة الفرنسية، الرافعة لأعلام الحرية والإخاء والمساواة - دنست الأزهر الشريف - أقدم وأعرق الجامعات الكبرى، وأحد المساجد الشهيرة فى تاريخ الإسلام - ومزقت وداست - الجنود والخيول - القرآن الكريم، وكتب السنة النبوية المطهرة، وسكر الجنود، وبالوا وتغوطوا على هذه المقدسات، فى الأزهر الشريف.. ولقد وصف مؤرخ العصر الشيخ عبد الرحمن الجبرتى (١١٦٧ - ١٢٣٧هـ/ ١٧٥٤ - ١٨٢٢م) هذا الذى اقترفه جنود الحملة الفرنسية، فقال:

«لقد دخل أولئك الوعول - (التيوس) - إلى الجامع الأزهر، وهم راكبون الخيول.. وداس فيه المشاة بالنعالات، وهم يحملون السلاح والبندقيات، وتفرقوا فى صحنه ومقصوراته، وربطوا

خيولهم بقبلته، وعاثوا فى الأروقة والحجرات، وكسروا القناديل والسهارات، وهشموا خزائن الطلبة، والمجاورين والكتبة، ونهبوا ما وجدوه من المتاع والأوانى والقصاع، والودائع والمخبآت بالدواليب والخزانات، ودشتوا الكتب والمصاحف، وعلى الأرض طرحوها، وبأرجلهم ونعالهم داسوها، وأحدثوا بالمسجد وتمخطوا، وبالوا وتغوطوا، وشربوا الشراب وكسروا أوانيه، وألقوها بصحنه ونواحيه.

وكل من صادفوه به عروه، ومن ثيابه أخرجوه، ووجدوا فى بعض الأروقة إنسانا فذبحوه، ومن الحياة أعدموه، وفعلوا بالجامع الأزهر، ما ليس عليهم بمستنكر؛ لأنهم أعداء الدين، وأخصام متغلبون، وغرماء متشمتون، وضباع متكالبون، وأجناس متباينون، وأشكال متعاندون.

وأعطى تلك الليلة جيش الرحمن: فسحة لجيش الشيطان»[1].

• • •

١٠

وتتكرر ذات الفعلة - تدنيس الأزهر الشريف، والقرآن الكريم، وكتب السنة النبوية المطهرة - على يد الاستعمار

(١) الجبرتى (مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس) ص ٧٢، تحقيق: د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، طبعة القاهرة، دار الكتب ١٩٩٨م.

الإنجليزى (١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م)، فلقد حاول الإنجليز - إبان ثورة الشعب المصرى ١٩١٩م - إغلاق الجامع الأزهر فى ٢ من أبريل ١٩١٩م، لكن شيخه الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوى (١٢٦٣ - ١٣٤٦هـ/ ١٨٤٧ - ١٩٢٧م) رفض.. فاقتحموه ودنسوه فى ١١ من ديسمبر ١٩١٩م، ولقد وصف ذلك المؤرخ الحجة عبد الرحمن الرافعى (١٣٠٦ - ١٣٨٦هـ/ ١٨٨٩ - ١٩٦٦م) فقال:

«لقد وقع فى يوم ١١ من ديسمبر ١٩١٩م - ١٨ من ربيع الأول ١٣٣٨هـ - حادث اهتزت له أرجاء القاهرة، وأثار عاصفة من السخط والاستنكار فى أنحاء البلاد: وهو اقتحام الجنود الإنجليزية الجامع الأزهر. لقد دخلوه بنعالهم وأسلحتهم - مطاردين للمتظاهرين - واعتدوا على من صادفوه بالضرب والإيذاء، فحدث هرج ومرج فى الجامع، واقتحم الجنود مكاتب الإدارة، وحاولوا كسر الأبواب، ففزع الموظفون، وحدثت ضجة كبيرة داخل الجامع وخارجه...»[1].

• • •

١١

وإذا كانت الديانات السماوية، وكذلك القوانين الوضعية، عبر التاريخ الإنسانى، قد تعارفت وتوافقت على احترام

(١) عبد الرحمن الرافعى (ثورة ١٩١٩م) ص ٧٦ - ٧٨، طبعة دار الشعب، القاهرة.

العهود وتقديس عقود الأمان - وخاصة للأسرى، الذين يعانون وطأة الهزيمة والاستضعاف.. فإن الغرب الاستعمارى قد احترف نقض عهود الأمان التى قطعها للأسرى المسلمين، وذبحهم، رغم ما أعطى لهم من عهود الأمان.

ففى الحروب الصليبية الغربية على الإسلام والمسلمين، رأينا ملكهم - الذى يباهون به - «ريتشارد قلب الأسد» (١١٨٩ - ١١٩٩م) يذبح ثلاثة آلاف جندى من أسرى المسلمين بعد أن قطع لهم عهد الأمان، وبشهادة وعبارة المستشرقة الألمانية الدكتورة «سيجريد هونكة»:

«فعلى العكس من المسلمين - الذين شملوا أسرى الصليبيين بمروءتهم، وأسبغوا عليهم من الجود والرحمة ما صار مضربا للمثل فى التخلق بروح الفروسية العالية - لم تعرف الفروسية النصرانية أى التزام خلقى تجاه كلمة الشرف أو الأسرى، فالملك «ريتشارد قلب الأسد»، الذى أقسم بشرفه لثلاثة آلاف أسير عربى أن حياتهم آمنة، إذ هو فجأة متقلب المزاج، فيأمر بذبحهم جميعا»[1].

وفى العصر الحديث، رأينا «بونابرت» (١٧٦٩ - ١٨٢١م) يقترف ذات الجريمة - جريمة الغدر بعهد الأمان الذى قطعه لأسرى معركة «يافا» (١٢١٤هـ/ ١٧٩٩م) -، فلقد ذبح آلاف

---

(١) د. سيجريد هونكة (الله ليس كذلك)، ص ٣٤، طبعة دار الشروق، القاهرة ١٩٩٥م.

الجنود المسلمين الذين استسلموا، والذين أعطاهم عهد الأمان!! ولقد وصف المؤرخ الحجة عبد الرحمن الرافعى هذا الغدر، والانتهاك لقداسة عهود الأمان، فقال - نقلاً عن المؤرخين الفرنسيين -:

« لقد وصل نابليون بجيشه تجاه يافا يوم ٣ من مارس ١٧٩٩م، وكان الجيش العثمانى بقيادة عبد الله باشا الجزار (١١٣٢ - ١٢١٩هـ/ ١٧٢٠ - ١٨٠٤م) ممتنعًا بها، فحاصرها نابليون بجنوده، واستولى عليها يوم ٧ من مارس، بعد معركة شديدة قتل فيها من الجنود العثمانيين ٢٠٠٠ قتيل، ودخل الفرنسيون المدينة، وأعملوا فيها السيف والنار.

لقد نهب الجنود الفرنسيون يافا، وارتكبوا فيها من الفظائع ما تقشعر منه الأبدان - باعتراف المؤرخين الفرنسيين - واستمر النهب والقتل يومين متواليين، واضطر الجنرال «روبان» - الذى عينه نابليون قائدًا للمدينة - أن يقتل بعض الجنود لإعادة النظام، فذهب جهده عبثًا، ولم ينقطع النهب إلا بعد أن كل الجنود من الاعتداء وسفك الدماء!!

ولم يكد ينقطع النهب لمدينة يافا، حتى أعقبته مأساة أخرى أشد هولا وفظاعة، ذلك أنه بعد انتهاء المعركة ودخول الفرنسيين المدينة، كان بها من الجنود العثمانيين نحو ثلاثة آلاف مقاتل، آثروا التسليم وإلقاء السلاح فى يد الفرنسيين بشروط اتفقوا عليها مع اثنين من ياوران نابليون، وهما

«بورهارنيه، وكروازيبه»، ومن هذه الشروط، أن تضمن لهم أرواحهم بعد التسليم، وتعهد الياوران بذلك باسم القائد العام (نابليون)، وتلقاهم الفرنسيون كأسرى حرب، ولكن نابليون، بعد أن فكر طويلا فى أسرهم، وتردد فى شأنهم، أمر بإعدامهم جميعًا رميًا بالرصاص، فسيق أولئك الأسرى إلى شاطئ البحر وأعدموا جميعًا رميًا بالرصاص»[1].

• • •

١٢

وعندما احتلت فرنسا الجزائر (١٢٤٦هـ - ١٨٣٠م) لم تنسها علمانيتها المتوحشة الحقد النصرانى الصليبى على الإسلام والمسلمين، فاعتبرت انتصارها هذا انتصارًا للمسيحية على الإسلام، وسجل رفاعة الطهطاوى (١٢١٦ - ١٢٩٠هـ/ ١٨٠١ - ١٨٧٣م) هذه الحقيقة - وكان شاهد عيان عليها يومئذ بباريس - فقال:

«إن المطران الكبير (بباريس) لما سمع بأخذ الجزائر، ودخل الملك شارل العاشر (١٨٢٤ - ١٨٣٠م) الكنيسة يشكر الله على ذلك، جاء إليه المطران ليهنئه على هذه النصرة، فقال: إنه يحمد الله على كون الملة المسيحية انتصرت نصرة عظيمة على

(١) عبد الرحمن الرافعى (تاريخ الحركة القومية) جـ٢، ص ٢٩، ٣٠، طبعة القاهرة ١٩٥٨م.

الملة الإسلامية، ولا زالت كذلك»[1].

وعندما احتفل الفرنسيون - العلمانيون - بمرور مائة عام على احتلالهم للجزائر (١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م) ماذا قالوا في الخطب والكلمات التي عبرت عن حقدهم الصليبي على الإسلام لقد خطب أحد كبار ساستهم فقال:

«إننا لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرءون القرآن، ويتكلمون العربية. فيجب أن نزيل القرآن من وجودهم، وأن نقتلع العربية من ألسنتهم».

وخطب سياسي آخر، فقال:

«لا تظنوا أن هذه المهرجانات من أجل بلوغنا مائة سنة في هذا الوطن، فلقد أقام الرومان قبلنا فيه ثلاثة قرون. ومع ذلك خرجوا منه، ألا فلتعلموا أن مغزى هذه المهرجانات هو تشييع جنازة الإسلام بهذه الديار...».

وخطب أحد كرادلة الكنيسة الفرنسية، فقال:

«إن عهد الهلال في الجزائر قد غبر، وإن عهد الصليب قد بدأ، وإنه سيستمر إلى الأبد.. وإن علينا أن نجعل أرض الجزائر مهداً لدولة مسيحية مضاءة أرجاؤها بنور مدنية منبع وحيها الإنجيل...».

---

(١) رفاعة الطهطاوي (الأعمال الكاملة) جـ٢ ص ٢١٩، دراسة وتحقيق د. محمد عمارة طبعة بيروت ١٩٧٣م.

١٣

وفى القرن الحادى والعشرين.. وبعد احتلال أمريكا للعراق عام ٢٠٠٣م - بواسطة تحالف صليبى غربى يضاهى الحملات الصليبية الأولى - وجدنا رعاة البقر يتعمدون انتهاك كل حرمات المسلمين، مركزين على حرمتى «العرض» و«الدين».

صنعوا ذلك عندما انتهكوا مقدسات الأعراض - للنساء والرجال - ومقدسات العقائد فى سجن «أبو غريب» وغيره من السجون - على النحو الذى سجلت نماذجه الصور التى شاهدها الناس عبر الفضائيات والصحف والمجلات.

وصنعوا ذلك فى مدينة «الفالوجة» العراقية فى أكتوبر/ نوفمبر ٢٠٠٤م. ففى مدينة تعدادها ٣٠٠,٠٠٠ - أى نحو ثلث مليون - ومساحتها أربعة كيلو مترات فى الطول والعرض:

- دمر الأمريكيون ٤٠ مسجدًا - من جملة مساجدها السبعين.

- وأجهزوا على الجرحى فى المساجد، ورأى الناس ذلك، عبر الصور، فى الفضائيات.

- ودنسوا ودمروا محتويات المساجد - بما فى ذلك

المصاحف وكتب السنة النبوية المطهرة.

- كما استخدموا الأسلحة المحرمة دوليًا - مثل الفوسفور الأبيض، والقنابل العنقودية - ضد المدنيين الأبرياء، بمن فيهم الأطفال والنساء.

وصنع الأمريكيون ذلك - أيضًا - فى معتقل «جوانتانامو»، حيث دنسوا القرآن الكريم، ووضعوا صحائفه فى المراحيض، ليهينوا الأسرى والمعتقلين الذين يقدسون هذا القرآن الكريم!!.

وصنعوا ذلك ببغداد - فى يناير ٢٠٠٦م عندما اقتحم الجيش الأمريكى مسجد «أم القرى» - مقر «هيئة علماء المسلمين» بالعراق -، ودمروا ودنسوا المقدسات الإسلامية، بما فيها القرآن الكريم،، وكتب السنة النبوية المطهرة، ثم رسموا الصليب على جدران هذا المسجد.

• • •

١٤

ولا يحسبن أحد أن هذه النماذج - وهى مجرد نماذج - من الوقائع والحقائق، قد كانت هى الذروة التى توقفت عندها الممارسات الغربية فى انتهاك حرمات الإسلام ومقدساته، فلقد رأينا من القادة والمسئولين - نعم القادة

والمسئولين - من يتجاوزون إهانة رسول الإسلام.. والقرآن الكريم.. وغيرهما من الرموز والمقدسات - إلى حيث الإهانة حتى للذات الإلهية.

فوزير العدل - نعم العدل!! - الأمريكى السابق «جون أشكروفت» يهين رب العالمين. فيقول:

«إن المسيحية دين أرسل الرب فيه ابنه ليموت من أجل الناس. أما الإسلام. فهو دين يطلب الله فيه من الشخص إرسال ابنه ليموت من أجل هذا الإله»[1].

والجنرال الأمريكى «ويليام م. ج. بويكن» - نائب وزير الدفاع الأمريكى - يخطب فى إحدى الكنائس - وهو بزيه العسكرى - فيقول:

«إن إلهنا أكبر من إلههم.. إن إلهنا إله حقيقى. وإله المسلمين صنم.. وإنهم يكرهون الولايات المتحدة الأمريكية؛ لأنها أمة مسيحية/ يهودية. وحربنا معهم هى حرب على الشيطان. وإن دين الإسلام دين شيطانى شرير.. ومحمد هو الشيطان نفسه....»[2].



---

(١) صحيفة (الشرق الأوسط) لندن. فى ٢١/ ٢/ ٢٠٠٢م.

(٢) صحيفة (الحياة) لندن فى ١٧/ ١٠/ ٢٠٠٣م. وصحيفة (الأهرام) القاهرة فى ١٨/ ١٠/ ٢٠٠٣م.

١٥

أما الإهانات الصهيونية لمقدسات الإسلام، فحدث عنها ولا حرج.

لقد بدأت مع بداية جريمة إقامة الكيان الصهيونى على أرض فلسطين عام ١٩٤٨م، وذلك بهدم خمسمائة قرية فلسطينية، وتدمير مساجدها، وحتى مقابر الأموات فيها!! ثم استمرت هذه الإهانات لتأخذ الآن صورة تهويد مدينة الحرم القدسى الشريف، وتهديد المسجد الأقصى، وذلك بالحفر تحت أساساته، وبناء متحف وكنيس يهودى أسفل ساحاته.. والتجهيز لهدمه، وإقامة هيكل يهودى على أنقاضه.

وبين هذا الذى بدأ عام ١٩٤٨م وهذا الذى يحدث اليوم، كان مسلسل الإهانات التى اقترفها المستوطنون الصهاينة - المدعومين من أمريكا والغرب - بحق القرآن الكريم - تمزيقًا وتدنيسًا - وبحق المساجد الإسلامية بكتابة الشعارات المهينة للإسلام والمسلمين على جدرانها، وباغتصاب الجزء الأكبر من «الحرم الإبراهيمى» - بمدينة الخليل - وحتى برسم رسول الإسلام (ﷺ) فى صورة خنزير!!

• • •

ومع كل هذا الذى مثل ويمثل مخزونًا لثقافة «الكراهية السوداء»، تجاه الإسلام ومقدساته وأمته وحضارته، نجدهم يصدعون رءوسنا – ومعهم العلمانيون العملاء فى بلادنا – عن عيوب «الخطاب الإسلامى»، وعن رفض المسلمين للآخر! وتعصبهم إزاء الآخرين، ونجدهم يعتمدون الميزانيات، ويمارسون الضغوط لتغيير مناهج التعليم فى البلاد الإسلامية، وذلك لتحويل الإسلام عن طبيعته، وجعله – كما قال «فوكوياما» –: «دينًا حداثيًا.. ليبراليًا.. علمانيًا.. يقبل المبدأ المسيحى: دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله».

لقد كتب الصحفى الأمريكى الصهيونى «توماس فريدما» – إبان الحرب الأمريكية على أفغانستان عام ٢٠٠١م يقول:

«إن الحرب الحقيقية فى المنطقة الإسلامية هى فى المدارس، لذلك يجب أن نفرغ من حملتنا العسكرية - (على أفغانستان) - بسرعة.. لنعود مسلحين بالكتب.. لينمو جيل جديد، يقبل سياساتنا، كما يقبل شطائرنا، وإلى أن يحدث هذا لن نجد لنا أصدقاء هنا»[١].

ولم يقل أحد بضرورة أن يبصر الغرب هذا القذى فى عيونه الثقافية التى ينظر بها إلى الإسلام!

---

(١) صحيفة (وطنى) القاهرة فى ٢٥/ ١١/ ٢٠٠١م.

إن الأكاذيب والمغالطات والمفتريات - ضد الإسلام - فى الكتب المدرسية الغربية - التى تكون عقول الناشئة فى البلاد الغربية - قد ملأت صفحات ثمانية مجلدات، أنجزها مشروع بحثى جاد، أشرف عليه البروفيسور عبد الجواد فلاتورى وطبعتها جامعة «كولن» - بألمانيا - فى أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات من القرن العشرين، فلِمَ لا يتحدث أحد عن ضرورة المراجعة لهذا «الخطاب التعليمى» الملىء بالمفتريات ضد الإسلام والمسلمين؟!

وإن الغربيين الذين يناصبون الإسلام العداء، يتحدثون عن الأصول «اليهودية - المسيحية» لحضارتهم الغربية، فلِمَ لا ينظرون إلى العنصرية الدموية التى يطفح بها الخطاب اليهودى ضد جميع الأغيار.. ذلك الذى تحوله الفتاوى الحاخامية على أرض فلسطين إلى سياسات للإبادة، والاغتيالات، والتطهير العرقى، والإحلال الاستيطانى على حساب العزل والأبرياء من الفلسطينيين؟!

ألم يقرءوا - فى أسفار العهد القديم -:

«وكلم الرب موسى فى عربات مواب على أردن أريحا قائلاً: كلم إسرائيل وقل لهم: إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان، فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم.. تملكون الأرض وتسكنون فيها.. وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين

تستبقون منهم أشواكًا فى أعينكم، ومناخس فى جوانبكم، ويضايقونكم فى الأرض التى أنتم ساكنون فيها. فيكون أنى أفعل بكم كما هممت أن أفعل بهم.

سبعة شعوب دفعهم الرب إلهك أمامك وضربتهم، فإنك تحرمهم (تهلكهم): لا تقطع لهم عهدًا ولا تشفق عليهم، ولا تصاهرهم: لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك، إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعبًا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض.. مباركًا تكون فوق جميع الشعوب.. وتأكل كل الشعوب الذين الرب إلهك يدفع إليك، لا تشفق عيناك عليهم..»[1].

ألم يقرأ أحد من هؤلاء الذين يبتزون المسلمين بالحديث عن عيوب خطابهم الدينى نصوص هذه «العنصرية/ الدموية/ المقدسة»!! والتى تحولت إلى فتاوى حاخامية معاصرة، يقول فيها الحاخام العقيد أ. فيدان، (زيميل): «إن الهالاكاه (الشريعة) تحض على قتل حتى المدنيين الطيبين»[2].

ألم يبصر أحد شيئًا من هذا القذى الذى تطفح به عيون الغرب العنصرى «الصليبى - الصهيونى» تجاه الأغيار.. وتجاه الإسلام والمسلمين على وجه الخصوص؟!

---

(١) سفر التثنية، إصحاح ٣٣: ٥٠ - ٥٣، ٥٥، ٥٦، وإصحاح ٧: ١ - ٣، ٧، ١٤ - ١٦.

(٢) إسرائيل شاحاك (الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود) ص ١٣٣ وما بعدها ترجمة: حسن خضر. طبعة القاهرة، دار سينا ١٩٩٤م.

١٧

ثم.. هل يمكن أن يدخل شيء من هذه الافتراءات والأكاذيب والعنصرية فى باب «حرية التعبير»؟!

إن هذا الافتراء الغربى على الإسلام ورموزه ومقدساته سابق بقرون طوال على معرفة الغرب لحرية التعبير!

وهذه الفلسفة الوضعية العلمانية التى أسس عليها الغرب - منذ عصر النهضة - حريته فى التعبير، إنما تقوم على «نسبية الفكر الإنسانى»، ورفض «المطلقات»، فلِمَ تكون حرية التعبير الخاصة بإهانة رموز الإسلام ومقدساته - وهى موقف وفكر إنسانى - من «المطلقات»، التى لا تقبل النقاش؟!

ولِمَ لا يستخدم الغرب - كل الغرب - هذه الحرية فى التعبير عندما يكون الأمر خاصًا بنقد اليهود، أو الصهيونية، أو حتى السياسات الاستعمارية الإسرائيلية؟! فهنا - وهنا فقط - ينسى الغرب حقه فى حرية التعبير، ويحول الممارسات اليهودية والصهيونية والإسرائيلية إلى «مطلقات - معصومة»، تتحول انتقاداتها إلى جرائم يعاقب عليها القانون!

ثم.. هل يجيز الغرب - بحجة حرية التعبير - إعلان المواطن الغربى كراهيته لوطنه، وازدراءه لرموزه، وافتراءه

على تاريخه، فضلاً عن حرية الخيانة لهذا الوطن؟!

ولِمَ تكون حرية التعبير «مطلقة.. ومقدسة.. ولا يجوز النقاش فيها» عندما تكون خاصة بالافتراء على الإسلام ومقدسات المسلمين؟!

• • •

١٨

لقد نهى الإسلام أهله حتى عن سب الأصنام التى يعبدها المشركون، وذلك صيانة للمعبود الحق عن سب الوثنيين، فقال - سبحانه وتعالى - فى القرآن الكريم ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون﴾ (الأنعام: ١٠٨).

ولقد آمن المسلمون ويؤمنون.. وصلوا ويصلون على كل أنبياء الله ورسله، كما آمنوا وصدقوا بكل الكتب السماوية، وليس فقط بالقرآن الكريم - الذى جاء مصدقاً لما سبقه من مطلق الذكر والوحى والكتاب ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله﴾ (البقرة: ٢٨٥).

ولا يكتمل إيمان المسلم إلا إذا اعترف بكل ألوان

الآخرين.. وساوى بين كل الآخرين فى الحقوق والواجبات، إذ التكريم الإلهى - فى الإسلام - هو لمطلق النفس الإنسانية؛ لأن البشر، على اختلاف الشعوب والقوميات والأجناس والألوان والثقافات والحضارات، هم من نفس واحدة، تنوعت توجهاتهم وتمايزت شرائعهم وثقافاتهم وحضاراتهم ليتعارفوا ويتعايشوا ﴿ يا أيها الناس إنَّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم إنَّ الله عليم خبير ﴾ (الحجرات: ١٣).

والمسلمون مطالبون - فى الدولة الإسلامية - بتمكين غير المسلمين من إقامة عقائدهم - التى تكفر بالإسلام، وتمكينهم من الأمن والأمان على سائر مقدساتهم - وهكذا صنعت الدولة الإسلامية، منذ عهد النبوة وعلى امتداد التاريخ، فعاشت فيها جميع ألوان الشرائع والديانات - السماوية والوضعية - ولم يعرف تاريخ المسلمين حربًا دينية للإكراه على الاعتقاد، وبنص العهد الذى قطعه رسول الله (ﷺ) لعموم النصارى:

«أن أحمى جانبهم، وأذب عنهم وعن كنائسهم وبيعهم وبيوت صلواتهم ومواضع الرهبان ومواطن السياح.. وأن أحرس دينهم وملتهم أين كانوا بما أحفظ به نفسى وخاصتى وأهل الإسلام من ملتى؛ لأنى أعطيتهم عهد الله على أن لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، وعلى المسلمين ما

عليهم.. حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم...»[1].

لكن غير المسلمين - وخاصة فى الحضارة الغربية ومؤسساتها الدينية والسياسية - لا يعترفون بالآخر.. أىّ آخر، وخاصة إذا كان هذا الآخر هو الإسلام والمسلمون!

إن الحضارة الغربية - بشهادة العلماء المتصفين من أبنائها - تتمحور حول ذاتها، ولا تعترف بالآخرين، وبعبارة المستشرق الفرنسى «مكسيم رودنسون» (١٩١٥م - ٢٠٠٤م):

«فإن الظاهرة التى لعبت الدور الأكبر فى تحديد طبيعة النظرة الأوروبية إلى الشرق.. هى التمركز حول الذات، وهى صفة طبيعية فى الأوروبيين، كانت موجودة دائمًا، ولكنها اتخذت الآن - فى ظل الإمبريالية الأوروبية - صبغة تتسم بالازدراء الواضح للآخرين...»[2].

أما عن إنكار المؤسسات الدينية الغربية للإسلام - الذى يعترف بكل الكتب.. والشرائع.. والديانات - فيكفى أنها لا تزال - حتى هذه اللحظات - تنكر أن يكون الإسلام دينًا سماويًا.. وأن يكون القرآن وحيًا إلهيًا.. وأن يكون رسول

---

(١) (مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة) ص ١١١ وما بعدها، تحقيق: د. محمد حميد الله الحيدر آبادى. طبعة القاهرة ١٩٥٦م.

(٢) د. محمد عمارة (الإسلام فى عيون غربية: بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء) ص ٦٤، ٦٥. طبعة دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٥م.

الإسلام (ﷺ) نبيًا ورسولاً. وهى - بتلك الجحود والإنكار - تؤسس لهذه الافتراءات التى توالت وتتوالى على الإسلام، منذ ظهوره، وحتى هذه اللحظات!

لقد عقد - بالقاهرة.. فى فندق «شيراتون المطار» - مؤتمر للحوار الإسلامى المسيحى، فى ٢٨، ٢٩ من أكتوبر ٢٠٠١م، ولما جاءت لحظة التوقيع على «البيان الختامى»، ورأى فيه مندوب الفاتيكان - القس خالد أكشة - ومندوب مجلس الكنائس العالمى - الدكتور طارق مترى - عبارة: «الديانات السماوية.. والقيم الربانية».. رفضا التوقيع على البيان، وقالا: إننا لا نعترف بالإسلام دينًا سماويًا، ولا بالقيم الإسلامية قيمًا ربانية!!

وساعتها تساءل الدكتور يوسف القرضاوى - وكان مشاركًا فى هذا الحوار - عن جدوى الجلوس معًا.. مع عدم الاعتراف المتبادل، والقبول المتبادل[1]؟!

هكذا.. وحتى هذه اللحظات.. يرفض الغرب الحضارى.. والدينى الاعتراف بالآخر الإسلامى - الذى يعترف بكل ألوان الآخرين!

(١) صحيفة (الأسبوع) القاهرة فى ٥ من نوفمبر ٢٠٠١م. وصحيفة (عقيدتى) القاهرة فى ٦ من نوفمبر ٢٠٠١م. وصحيفة (العالم الإسلامى) مكة المكرمة فى ١٦ من نوفمبر ٢٠٠١م.

ومع ذلك يبتزوننا.. ويفترون علينا - صباح مساء - زاعمين أننا نحن الذين نضيق صدرًا بالآخرين.

• • •

تلك إشارات - مجرد إشارات - لبعض الوقائع والحقائق التاريخية المشاهدة؛ على أن ما نواجهه - نحن المسلمين - من إهانات غربية موجهة إلى مقدسات الإسلام والمسلمين.. ليست أحداثًا عارضة.. ولا منفردة.. ولا معزولة.. ولا حديثة الوقوع.. وأن القضية ليست رسمًا «كاريكاتوريًا» نشرته صحيفة «بولاندس بوستن» الدانماركية فى ٢٠ من سبتمبر ٢٠٠٥م، وتناقلته عنها، بعد ذلك، العديد من الصحف الأوروبية.. وطبعته على القمصان، وارتدته دوائر صليبية!! وإنما نحن أمام موقف معاد لمقدسات الإسلام.. قديم.. وثابت.. وله تاريخ!

• • •

لكنهم ليسوا سواء

وإذا كنا قد أشرنا - فى بداية هذه الدراسة - إلى أن الغرب ليس موقفًا واحدًا، وأن عداءه للإسلام ليس شاملاً.. وأن المشكلة هى مع مشروع الهيمنة الغربى، ومؤسساته - الدينية والسياسية والإعلامية، وأن هناك من علماء الغرب ومفكريه من أنصفوا الإسلام إنصافًا متميزًا وممتازًا.. فيكفى للبرهنة على هذه الحقيقة، أن نقدم ثلاث شهادات غربية.. أولاها تعترف بافتراء الغرب على الإسلام، وجحوده له، وإنكاره إياه.. وثانيتها تنصف القرآن الكريم، ورسول الإسلام (ﷺ)، وهى ترد على افتراءات الغربيين، وثالثتها تضع الإسلام فى المكانة العليا - التى لا تدانيها مكانة بين الديانات.

١ - لقد كتب المستشرق الفرنسى الحجة «جاك بيرك» (١٩١٠ - ١٩٩٥م)، وهو أحد أعمدة الثقافة الفرنسية والأوروبية.. كتب يقول عن موقف الغرب من الإسلام:

«إن الإسلام، الذى هو آخر الديانات السماوية الثلاث. والذى يدين به أزيد من مليار نسمة فى العالم، والذى هو قريب من الغرب جغرافيا، وتاريخيا، وحتى من ناحية القيم والمفاهيم.. قد ظل، ويظل حتى هذه الساعة، بالنسبة للغرب، ابن العم

المجهول، والأخ المرفوض، والمنكور الأبدى، والمبعد الأبدى، والمتهم الأبدى، والمشتبه فيه الأبدى»[1].

٢ - وكتب العالم الإنجليزى «مونتجمرى وات» - وهو أحد أعمدة الثقافة الإنجليزية والأوروبية.. والذى أنفق من عمره أكثر من ثلث قرن فى دراسة الإسلام - كتب يقول عن صدق القرآن الكريم.. وصدق رسول الإسلام (ﷺ) ردًا على افتراءات الأوروبيين:

«إن القرآن ليس بأى حال من الأحوال كلام محمد، ولا هو نتاج تفكيره، وإنما هو كلام الله وحده، قصد به مخاطبة محمد ومعاصريه، ومن هنا: فإن محمدا ليس أكثر من «رسول» اختاره الله لحمل هذه الرسالة، إلى أهل مكة أولا، ثم لكل العرب، ومن هنا فهو قرآن عربى مبين.

إننى أعتقد أن القرآن، بمعنى من المعانى، صادر عن الله، وبالتالى فهو وحى..

إننا نؤمن بصدق محمد وإخلاصه عندما يقول: إن كلمات الله ليست نتيجة أى تفكير واع منه، وربما كانت الملامح الأساسية للوحى يمكن اختصارها فى العناصر الثلاثة الآتية:

---

(١) من حديث جاك بيرك فى ٢٧/ ٦/ ١٩٩٥م مع حسونة المصباحى. حول «العرب والإسلام فى نظر المستشرق الفرنسى جاك بيرك» صحيفة (الشرق الأوسط) لندن فى ١/ ١١/ ٢٠٠٠م.

١ - أن الكلمات المنزلة على محمد كانت تحضر فى عقله الواعى.

٢ - وأن تفكيره الشخصى لم يكن له دور فى ذلك.

٣ - وأن يقينا جازمًا كان يتملك فؤاده بأن هذه الكلمات هى من عند الله.

لقد وجد محمد الكلمات، أو المحتوى الشفهى حاضرًا فى وعيه، فلما تمت كتابته شكل النص القرآنى الذى بين أيدينا، وكان محمد واعيًا تمامًا بأنه لا دخل لتفكيره الواعى فى هذه الرسالة القرآنية التى تصله، وبتعبير آخر فقد كان يعتقد أنه يمكنه أن يفصل بين هذه الرسالة القرآنية وبين تفكيره الواعى، الأمر الذى يعنى أن القرآن لم يكن بأية حال من الأحوال نتاج تفكير محمد.. إنه لا ينبغى النظر إليه باعتباره نتاج عبقرية بشرية.

وفى الحوار مع الإسلام، يجب أن يتخلى المسيحيون عن فكرة أن محمدًا لم يتلق وحيًا، وعن الأفكار الشبيهة.. وإذا لم يكن محمد هو الذى رتب القرآن بناء على وحى نزل عليه. فمن الصعب أن نتصور «زيدًا بن ثابت (١١ ق.هـ - ٤٥هـ/ ٦١١ - ٦٦٥م)» أو أى مسلم آخر يقوم بهذا العمل.. ومن هنا، فإن كثيرًا من السور قد اتخذت شكلها الذى هى عليه منذ أيام محمد نفسه.. والقرآن كان يسجل فور نزوله.

وعندما تحدى محمد أعداءه بأن يأتوا بسورة من مثل السور

التى أوحيت إليه، كان من المفترض أنهم لن يستطيعوا مواجهة التحدى؛ لأن السور التى تلاها محمد هى من عند الله، وما كان لبشر أن يتحدى الله. وليس من شك فى أنه ليس من قبيل الصدفة أيضًا أن كلمة (آية) تعنى علامة على القدرة الإلهية، وتعنى أيضًا فقرة من الوحى...»[1].

٢ - أما المستشرقة الألمانية «الدكتورة سيجريد هونكة» فلقد كتبت تقول:

«إن الإسلام هو - ولا شك - أعظم ديانة على ظهر الأرض سماحة وإنصافًا، نقولها بلا تحيز، ودون أن نسمح للأحكام الظالمة أن تلطخه بالسواد، وإذا ما نحينا هذه المغالطات التاريخية الآثمة فى حقه، والجهل البحت به، فإن علينا أن نتقبل هذا الشريك والصديق، مع ضمان حقه فى أن يكون كما هو...»[2].

هكذا شهد - ويشهد - كثير من علماء الغرب، فيتصفون الإسلام إنصافًا يجب أن يتعلم منه المسلمون.. ويتسلحوا به فى الحوار مع المفترين - من الغربيين - على الإسلام.

• • •

(١) مونتجمرى وات (الإسلام والمسيحية فى العالم المعاصر) ص ٣٥، ٣٦، ١٠٦، ٣٩، ٢٠٦، ٥٢ - ٥٤، ٧١، ٣٣، ٦١، ١٢٨، ٦٣، ١٣١، ٨٣. ترجمة: د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ، طبعة القاهرة - مكتبة الأسرة ٢٠٠١م.

(٢) سيجريد هونكة (الله ليس كذلك) ص ١٠١.

وبعد..

إنها - إذن - معركة لها تاريخ..

وإذا كانت الجماهير تغضب عندما تُهان مقدساتها.. فإن هذا الغضب - مع مشروعيته، وأهميته، بل ووجوبه، ليس هو الحل.. وليس هو العلاج للمرض المستكن فى الثقافة الغربية تجاه الإسلام.

وإنما الحل والعلاج لدى:

١ - **النخبة الفكرية:** التى يجب عليها أن «ترتب العقل الإسلامى»، وأن تقدم للإنسان الغربى مشروعًا فكريًا يعرّفه بحقائق الإسلام - الدين.. والحضارة.. والتاريخ - لتحرر عقل هذا الإنسان من مخزون ثقافة الكراهية السوداء الموروث والمستكن فى التراث الغربى عن الإسلام ومقدسات المسلمين، وليكن ذلك فى صورة مشروع «ألف كتاب إسلامى»، تعرّف بحقيقة الإسلام، تترجم إلى مختلف اللغات الغربية الحية والمهمة..

وأيضًا من خلال الحوار الجاد مع مؤسسات العلم والفكر والتعليم والثقافة الغربية.. الحوار الذى يجب أن نعد له أهله القادرين عليه، والمخلصين له.. والذى يكشف للغرب - من

خلال حقائق الإسلام، وشهادات المنصفين من علماء الغرب - عن الأكاذيب والأغاليط والأخطاء التى تراكمت فى التراث الغربى والثقافة الغربية عن الإسلام والمسلمين، فبمنهاج: «وشهد شاهد من أهلها»، تستطيع أن نفتح عيون الغربيين على حقائق الإسلام، وعلى الافتراءات الغربية - التاريخية.. والحديثة.. والمعاصرة - على الإسلام.

وبذلك - وحده - نحاصر الجهود المنظمة لمؤسسات الهيمنة الغربية فى الافتراء على الإسلام، ويكون العلاج «للمرض»، وليس الوقوف - فقط - عند «العَرَض».

٢ - **ولدى النخبة الحاكمة** فى ديار الإسلام، التى يجب عليها أن تسعى فى الجمعية العامة للأمم المتحدة - وللشعوب فيها أغلبية مضمونة - لاستصدار قرار ملزم - يوافق عليه مجلس الأمن الدولى - باحترام جميع المقدسات الدينية، لكل الأديان التى تؤمن بها الأمم والشعوب.

كما يجب على هذه النخبة الحاكمة أن «ترتب البيت الإسلامى»، وذلك بتحرير ديار الإسلام من القواعد العسكرية الغربية التى تنتقص من سيادتنا وحريتنا وكرامتنا.. وتحرير البحار والمحيطات فى عالم الإسلام من الأساطيل الغربية.. وتحرير ثروات العالم الإسلامى من النهب الاستعمارى الغربى... فبدون «ترتيب البيت

الإسلامى»، وتعظيم إمكانات و«أوراق الضغط» التى تملكها الأمة الإسلامية لن يحترمنا الآخرون بأى حال من الأحوال.

• • •

تلك هى «المشكلة.. والداء».. وهذا هو «الحل والدواء».

وصدق الله العظيم: ﴿ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون (١١٣) يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين (١١٤) وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين﴾ (آل عمران: ١١٣ - ١١٥) ﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون (٣٦) ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون﴾ (الأنفال: ٣٦، ٣٧)، ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله لا يهدى القوم الظالمين (٧) يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون (٨) هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ (الصف: ٧ - ٩).

• • •

المراجع

[لمزيد من الحقائق والتفاصيل حول موضوع الدراسة.. يمكن الرجوع إلى كتبنا:]

١ - الغرب والإسلام.. أين الخطأ؟ وأين الصواب؟ طبعة مكتبة الشروق الدولية. ٢٠٠٤م.

٢ - الإسلام والآخر: من يعترف بمن؟ ومن ينكر من؟ طبعة مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٥م.

٣ - في فقه المواجهة بين الغرب والإسلام، طبعة مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٣م.

٤ - الإسلام في عيون غربية، طبعة دار الشروق، ٢٠٠٥م.

٥ - الأصولية بين الغرب والإسلام، طبعة دار الشروق، ١٩٩٨م.

٦ - الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية، طبعة دار الشروق، ٢٠٠٢م.

٧ - الغرب والإسلام، طبعة نهضة مصر، ١٩٩٧م.

٨ - الحضارات العالمية: تدافع أم صراع؟، طبعة نهضة مصر، ١٩٩٨م.

٩ - صراع القيم بين الغرب والإسلام، طبعة نهضة مصر، ١٩٩٧م.

١٠ - مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية، طبعة نهضة مصر، ٢٠٠١م.

١١ - مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، طبعة نهضة مصر، ١٩٩٩م.

١٢ - ابن رشد بين الغرب والإسلام، طبعة نهضة مصر، ١٩٩٧م.

١٣ - الغارة الجديدة على الإسلام، طبعة دار الرشاد، ١٩٩٨م.

١٤ - الغزو الفكري: وهم.. أم حقيقة؟، طبعة دار الشروق، ٢٠٠٢م.

١٥ - سقوط الغلو العلماني، طبعة دار الشروق، ٢٠٠٢م.

١٦ - الإسلام بين التنوير والتزوير، طبعة دار الشروق، ٢٠٠٢م.

١٧ - التفسير الماركسي للإسلام، طبعة دار الشروق، ٢٠٠٢م.

١٨ - هذا هو الإسلام - سلسلة صدرت فيها خمسة كتب - طبعة مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٦م.

الفهرس

هذا الكتاب

فصل جديد .. وليس الأخير فى مسلسل العداء الغربى للإسلام، وتعمدُ إهانة مقدساته، وفى المقدمة منها رسوله العظيم، وقرآنه الكريم، وهو يوضح أن هذا العداء والافتراء له تاريخ سابق حتى على علمنة الفكر الغربى والمجتمعات الغربية.

وليس المقصود من هذه الدراسة أن تكون دعوة «لكراهية الغرب»، وإنما هى جهد مخلص لمعالجة جذور «الكراهية» التى تنميها وترعاها مؤسسات الهيمنة الغربية ضد الإسلام.

وتسلط الدراسةُ الضوءَ على الوقائع التى تسمم العلاقات بين الغرب والإسلام، والتى تجعل الحوار بينهما أشبه ما يكون «بحوار الطرشان».



تطلب من : مركز الاعلام العربى
ص. ب : 93 الهرم - الجيزة - مصر ت : 202/3833361 - 202/3844422 ت/ف : 202/3851751
البريد الإلكترونى : E.mail:media-c@ie-eg.com